خاتمة الدراسة

شكلت العلاقة بين الغرب وأفريقيا المحور الأساسى والمشكلة الرئيسية فى الرؤى والتصورات التى قدمها وولتر رودنى، فقد حاول تحليل أبعاد تلك العلاقة مبرزاً ما يشوبها من عدم توازن لصالح الطرف الغربى على حساب القارة، كما حاول وضع تلك العلاقة وسماتها فى فلك العلاقة التاريخية التى تربط بين الإنسان الأبيض والإنسان الأسود، وقدم أيضاً العديد من السبل والأدوات الثقافية والمؤسسية والأيديولوجية التى يمكن من خلالها إحداث تغيير راديكالى فى سمات هذه العلاقة، وهو ما يشكل الحل عند رودنى لعدم التوازن والتبادل اللامتكافئ، وعدم عدالة التوزيع لمنافع تلك العلاقة، وقد اتخذ رودنى من التحليل الطبقى الماركسى ذى الطابع الإفريقي إطاراً للتحليل واضعاً الخبرات التاريخية والنماذج القيمية السوداء إطاراً مرجعياً وفكرياً للتصور البديل الذى قدمه لتلك العلاقة. لذا جرت محاولة تقديم وتحليل وتقييم لرؤية رودنى الفكرية التى تناقش قضية أساسية فى العلاقات الدولية الأفريقية وهى سمات علاقة القارة بالعالم الغربى تاريخياً، وكيف اضحت تلك العلاقة فى الفترة التالية للاستقلال، وكذلك تحليل التصور البديل لهذه العلاقة الذى يشمل الرؤى والتصورات التى قدمها لإحداث تغيير راديكالى فى سمات علاقة القارة بالغرب، وهل يمكن أن يكون لبعض تلك الرؤى والتصورات دلالات وإمكانية التطبيق لمواجهة بعض مشكلات وتحديات تواجه القارة فى الآونة الراهنة. ويمكن إجمال النتائج التى تجيب على أسئلة الدراسة على النحو التالى:

أولاً: ساعد انتقال رودنى بين عدة مجتمعات ومعاصرته للعديد من النظم

السياسية والهياكل الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية والسياسات الخارجية والتوجهات الأيديولوجية والتيارات الفكرية والمتغيرات والمشكلات على المستوى الدولى وعلى المستوى الأفريقي والكاريبى، ومحاولته الاستفادة من هذه المتغيرات فى الرؤى الفكرية التى قدمها لتغيير سمات واقع ومستقبل الجماعة السوداء، على تنوع الرؤى والتصورات التى قدمها والقضايا التى كانت محل اهتمامه.

ثانياً: شهدت القارة مراحل متقدمة من التنمية قبل الاتصال الأوروبى بسواحلها، وقد شملت التنمية كافة أركان وأبعاد المجتمع السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية والاجتماعية، ويفسر رودنى التخلف الذى عليه الواقع الأفريقي الآن بتأثير سياسات وأدوات الغرب فى التعامل مع القارة والتى أدت إلى إيقاف هذه التنمية، وتدميرالأسس والهياكل التنموية التى كانت قائمة.

ثالثاً: حاول الغرب ابتكار الوسائل والسياسات التى يحافظ من خلالها على القارة فى موقع التابع بشكل يخدم مصالحه ومنافعه، كما حاول أن يجعل من الاستقلال الذى حصلت عليه الدول الأفريقية استقلالاً شكلياً وهذا هو هدف ممارسات الاستعمار الجديد، ولذا أكد رودنى على أن هذا الشكل من الاستعمار يحتاج لوقت وجهد وكفاح من القارة الأفريقية يفوق ما بُذل لمواجهة الشكل التقليدى من الاستعمار، ولذا قدم العديد من الآليات والسبل لمواجهة الاستعمار الجديد على المستوى السياسى والاقتصادى والأمنى والاجتماعى والثقافى.

رابعاً: أدت سمات علاقة القارة بالغرب لاضطراب العديد من التكوينات الطبقية المختلفة فى العديد من الدول الأفريقية، وقد أدى ذلك لبروز العديد من الممارسات الديكتاتورية وإغلاق سبل المشاركة السياسية والحراك الاجتماعى فى العديد من دول العالم الثالث، وقد فسر رودنى ذلك فى ضوء سمات العلاقة القائمة بين الأبيض والأسود أو بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة بمعنى أخر.

خامساً: لن تتحقق التنمية ولن تستطيع القارة التصدى لممارسات الاستعمار الجديد من خلال نماذج مصدرها الأيديولوجية التى كانت مسئولة عن الاستعمار والرق، لذا يجب على الدول الأفريقية أن تسعى إلى إيجاد الوحدة المؤسسية والسياسية، وإلى تعميق أوجه التنسيق فيما بين وحداتها وفى أسلوب تعاملها مع الغرب، وكذلك السعى لتغيير إدراكها للسمات التى كانت السبب فى قهرها واستعمارها لتصبح هى سبب قوتها ووحدتها، وأن تسود القيم والمعتقدات والنماذج التاريخية والحضارية الأفريقية فى هذه المجتمعات، ولذا لابد أن تكون على وعى بما يقدمه التاريخ الأفريقي من نماذج وقيم وأسس للتنمية والقوة والثورة.

سادساً: كانت رؤى وتصورات رودنى بمثابة دعوة أو صرخة لكافة شعوب العالم المقهورة وللمثقفين والناشطين والعمال الذين رزخوا تحت الاستعمار والاستغلال سابقاً، وتحت هيمنة وإمبريالية الرأسمالية والاستعمار الجديد لاحقاً بضرورة الوحدة السياسية وامتلاك القوة وإدراك ما يقدمه التاريخ من نماذج وقيم، ويمكن القول بأن رودنى قد حافظ من خلال الرؤى والتصورات التى قدمها على درجة من الاتساق الفكرى، فقد حافظ على الاتساق بين الرؤى والأهداف التى يسعى إليها من ناحية، وبين هذه الرؤى ومنطلقاته الفكرية من ناحية أخرى، فقد كانت هذه الرؤى تحقق أهدافه الفكرية، وتتوافق مع منطلقاته النظرية بشكل يحقق درجة من الاتساق والاستقلال للتصورات النظرية التى قدمها، وكانت هذه الرؤى أيضاً تعبيراً واضحاً وشبه شامل عن سمات مرحلة تاريخية مهمة فى حياة الإنسان الأسود، ولا يزال العديد من تلك النماذج الفكرية التى قدمها قابلة للتطبيق لحل العديد من المشكلات والقضايا محل اهتمام المجتمعات الأفريقية فى الآونة الراهنة.

سابعاً: حاول رودنى تقديم تصور بديل للعلاقة بين الغرب وأفريقيا يقوم على أساس من المساواة بين الطرفين، ويفرض قدراً من العدالة فى أساليب وسبل

التعاون، وذلك فى إطار من الحرية التى تكفل لكل طرف أن يختار السبل والمجالات التى تحق أهدافه من تلك العلاقة، وبما يتناسب مع قيمه وثقافته وقدراته، ولذلك اختار أن يصبح الطرف الأفريقي على درجة من الوحدة، وأن يمتلك القوة السوداء حتى يصل إلى تحقيق أهدافه فى ضوء ما يناسب قيمه الثقافية ونماذجه الحضارية، لا أن يظل خادماً لأهداف الغرب، وهذا ما جعل التصورالذى قدمه جديراً بالاهتمام والدراسة.

ترتكن المنظومة الفكرية للمفكر السياسي على قيمة عليا تكون هى نقطة الانطلاق الأساسية للرؤى والتصورات التى يقدمها، ويدور هيكله الفكرى فى فلكها، إلا أن المفكرين يتباينون فى إعلاء إحدى ثلاث قيم هى الحرية، أو العدالة، أو المساواة، وفى أحيان أخرى تختلف القيمة التى يأخذ بها المفكر حسب الموضوع والقضية التى هو بصددها، وحسب الهدف من الرؤى والتصورات التى يقدمها، ففى بعض القضايا يرفع قيمة الحرية، وفى موضوعات أخرى تكون القيمة المحركة له هى قيمة العدالة، وإن كانت الخبرات التاريخية الاستعمارية، وطبيعة علاقة الغرب بأفريقيا، وبسبب سمات توجهات الإنسان الأبيض نحو الإنسان الأسود قد جعلت من قيمة المساواة هى القيمة العليا فى العديد من التيارات الفكرية الأفريقية.

ومع تنوع القضايا والمشكلات التى تناولها رودنى فكرياً، ومع تعدد أبعاد الأهداف والتطلعات التى سعى إليها، إلى جانب تباين الأدوات التى قدمها، فإن ذلك قد أدى إلى تنوع وتعدد القيم التى رفعها حسب القضية التى يناقشها والهدف الذى يسعى إليه، وكذلك حسب مستوى وأطراف تلك القضية، فقد اختلفت القيمة التى ينادى بها فى حالة تعامله مع قضايا ذات بُعد داخلى عن القيم التى تحركه إذا كانت القضية تتعلق بأطراف دولية، وكما كانت العلاقة بين الغرب وأفريقيا هى أساس ومحور فكره، كذلك كانت القيم والأهداف التى ترتبط بهذه القضية هى

محور منظومته القيمية.

ويظهر لنا إحصاء تكرار القيم الثلاث فى كتابات رودنى والتى تم الحصول عليها أنه قد تم تكرار قيمة الحرية Freedom نحو ثمان وستين مرة فى هذه الكتابات، فى حين تم ذكر العدالة Justice نحو ثلاثين مرة، وتكررت المساواة Equality نحو ثمان وعشرين مرة، ومع ذلك لا يمكن القول بأن قيمة الحرية قد سادت على باقى القيم فى رؤى وتصورات رودنى، فمن خلال وضع هذه القيم فى إطار السياق الذى ذُكرت فيه ستكون النتائج مختلفة.

لقد أبرز رودنى قيمة **العدالة** فى الرؤى والتصورات التى تتعلق بإدارة العلاقة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع دون النظر لمعايير التمييز بين هذه الجماعات سواء لونية أو إثنية أو اقتصادية أو إقليمية أو ثقافية، وحتى عندما اهتم بمكانة السود فى المجتمع لم يصل إلى طرح ممارسات عنصرية ضد غير السود، ولكنه يهدف لمعاملة عادلة معهم، ويؤكد على دور المعتقدات الدينية والأطر الثقافية فى توفير البيئة التى تسمح بتلك الممارسات العادلة، ولذا رفع شعار «الخبز والعدالة» «Bread & Justice» كهدف يجب أن تسعى إليه المجتمعات، ويقصد به «التنمية والعدالة الاجتماعية»، فإذا حدثت التنمية أو حدث تطور فى هذه المجتمعات فلابد من العدالة التوزيعية لمنافع تلك التنمية بين الجماعات المختلفة، فليس لجماعة أو فئة من المميزات أو الحقوق ما يجعلها تستغل أو تستولى على حقوق الجماعات الأخرى، بل إن الحصول على حقوق لجماعة معينة لابد أن يتم من خلال الكفاح والصراع وحسب ثقل وجهد هذه الجماعة، فهى ليست منحة من فئة حاكمة أو من النخبة السياسية أو من جماعة متسلطة على ما عداها من الجماعات.

وقد حاول رودنى أن يقدم الوسائل والرؤى التى تؤكد على قيمة العدالة فى إطار العلاقة بين الإنسان الأبيض والإنسان الأسود، أو بين الغرب وأفريقيا بمعنى آخر،

فأكد على عدم عدالة تجارة الرقيق والآثار التدميرية لهذه التجارة على المجتمع الأفريقي، فى حين شكلت الأساس الذى نهضت عليه اقتصادات الدول الغربية لفترة زمنية طويلة، كما تناول أوجه عدم العدالة فى الممارسات الاستعمارية التى استمرت لعدة قرون واتخذت من النهج الاستغلالى أسلوباً لها فى التعامل مع الأفارقة، ويؤكد على أنه لا يمكن أن تتحقق العدالة فى ظل تلك الممارسات العنصرية الاستعمارية، وأن موروثات تلك المرحلة قد أثرت على درجة العدالة التى تتسم بها العلاقة بين الجماعات داخل المجتمع الأفريقي، كما أنها أثرت على سمات العدالة فى العلاقة التى تجمع الغرب بأفريقيا فى الفترة التالية للاستقلال، وحتى تتحقق العدالة فى المجتمعات الأفريقية سواء فى العلاقة بين الجماعات التى يتكون منها المجتمع، أو فى العلاقة التى تربط القارة بالغرب لابد أن تتغير أسس هذه العلاقة، ولابد أن تعاد هيكلة مبادئها على أساس من العدالة فى توزيع المنافع والمساواة بين أطرافها.

ويرى رودنى أنه لا توجد هناك سمات أو مميزات أو صلاحيات يمكن أن تكون لفرد أو جماعة معينة على أساس من لون أو تاريخ أو موارد مادية أو قدرات عسكرية تمكنه من استغلال واستعباد وقهر إنسان أو جماعة أخرى، فالأساس فى العلاقات بين البشر والجماعات هو مبدأ المساواة، ولذلك أكد على ضرورة أن يصبح هذا المبدأ هو أساس التعامل مع الجماعات المختلفة داخل المجتمع، وتصبح المساواة هى الإطار التوزيعى للمنافع المادية والمناصب السياسية، وكذلك تصبح هى المبدأ الأساسى فى الممارسات السياسية والدينية والثقافية، ولا يصبح الانتماء لجماعة أو لون أو إقليم معين هو السبب فى حصول فرد أو جماعة على فرصة تفوق ما عداها داخل المجتمع .

وقد كان أهم أهداف وولتر رودنى من التصور البديل الذى قدمه للعلاقة بين

الغرب وأفريقيا أن يرسخ مبدأ المساواة فى عقلية الإنسان الأفريقي، وأن ينزع المفاهيم والمبادئ والأساطير التى تغرس عدم المساواة بين الأبيض والأسود والتى كان الغرب قد نشرها وحاول إثباتها نظرياً وعملياً، ولذا حاول تقديم الدلائل التاريخية والتصورات النظرية التى تفند وتدحض النظريات والادعاءات الغربية التى تحاول إثبات دونية الإنسان الأسود، مؤكداً على أهمية الوحدة السياسية الأفريقية وضرورة الأخذ بمبادئ أيديولوجية القوة السوداء كما طرح كذلك الثورة السوداء العالمية كسبيل لإدراك تلك المساواة.

ويعبر العديد من الأدوات التى يستخدمها الغرب الآن فى العلاقات الدولية عن عدم قبول هذه القوى الغربية بالمساواة التى فرضتها حركات التحرير ومفاوضات الاستقلال، وسعت لابتكار الوسائل التى تحافظ من خلالها على عدم المساواة فى علاقتها بأفريقيا، ولذا أكد رودنى على خطورة ممارسات المنظمات الدولية، والشركات المتعددة الجنسيات، والعديد من صور التعاون الاقتصادى الدولى، ودور بعض القوى الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فى ترسيخ عدم المساواة بين الطرفين، حيث يؤكد على دور التبادل الاقتصادى غير المتكافئ فى زيادة الفجوة بين من يملكون ومن لا يملكون، ويرى أن الرأسمالية ومبادئها وأهدافها ترسخ مبدأ عدم المساواة داخل وبين الدول.

وقد طرح رودنى العديد من التصورات التى تصل بالإنسان الأسود إلى درجة من التنمية وامتلاك قوة سوداء تعبر عن قدراته وإمكانياته، كذلك فإن الهدف من تحقيق الوحدة السياسية وإعادة كتابة التاريخ الأفريقي وإعادة النظر فى العديد من القيم والنماذج الحضارية هو توفير الأساس الفكرى والحضارى لتحقيق هذه المساواة، وفى نفس السياق أكد على أهمية الاشتراكية كتوجه أيديولوجى يدعم تلك المساواة، ويرى أن أدوات ومبادئ الاشتراكية يمكن أن تسهم فى توفير البيئة

المناسبة والمجال الملائم لتحقيقها، ولكنها الاشتراكية فى صورتها الأفريقية، بمعنى أن تقوم على أسس ومبادئ وقيم أفريقية، وتتم ممارستها من خلال نماذج تنموية ونظم سياسية لها الطابع القيمى الأفريقي، ولذا لابد أن تترك للقارة حرية اختيار التوجه التنموى والنماذج الإصلاحية لنظمها السياسية القائمة بما يتناسب مع خصائصها وسماتها وقيمها، بمعنى توفير المرغوبية فى الأخذ بتوجه أيديولوجى، وأن يكون ذلك ممكن التطبيق متناسباً مع الطبيعة الأفريقية.

كما جعل رودنى الحرية هدفاً للعديد من الرؤى والتصورات التى قدمها، فقد أوردها كغاية تسعى إليها الشعوب السوداء من خلال العديد من الأنشطة والتنظيمات والحركات التى بينهم، وقدمها بالمعنى الواسع لها ويشمل حريات الأفراد، والتأكيد على أن الحرية الشخصية من الحقوق الأساسية التى لا يجوز التنازل عنها، كذلك أكد على حرية الصحافة، وحرية العبادة والممارسات الدينية، وحرية المجالس التشريعية من سيطرة السلطة التنفيذية عليها، وكذلك حرية الجماعات المختلفة فى التعبير عن مطالبها وممارسة شعائرها وتقاليدها وقيمها، إلى جانب حرية التعبير من خلال المنظمات ذات التوجهات المعارضة لنظام الحكم، وكانت حرية القضاء من الحريات التى أكد عليها، ولكنه يؤكد على أن ممارسة الإنسان الأسود لتلك الحريات يجب أن يتم فى ظل قواعد قانونية وقيمية أفريقية تُستمد من الإرث الثقافى والحضارى الأفريقي.

وقد قدم رودنى الحرية على أنها البداية المنطقية للتنمية، فاستقلال الدول الأفريقية فى إدارة شئونها واستغلال مواردها وثرواتها، وكذلك حريتها فى اتخاذ القرارات وإدارة علاقاتها الخارجية تشكل جميعاً أساس إدراك قادة هذه الدول لمشاكل واقعهم الاجتماعى، وهى كذلك البداية لاتخاذ خطوات لتغيير راديكالى لسمات علاقة دولهم بالغرب، ولذا يؤكد على أهمية وضع قيود على حرية الشركات

المتعددة الجنسيات والاستثمارات الأجنبية، وكذلك الحد من تدخل الغرب فى شئون دول القارة تحت مظلة المنظمات الدولية، ويرى أنه حتى تستطيع دول القارة أن تحقق التنمية، وحتى تستطيع الخروج من حالة التبعية، فلابد أن يتم لها توفير حرية الاختيار، وحرية إدارة شئونها الداخلية والخارجية.

كذلك قام رودنى بصياغة العديد من الأدوات والرؤى المختلفة التى يمكن استخدامها حتى تصل الدول الأفريقية لامتلاك حريتها بالمعنى الواسع السابق الإشارة إليه، ليصل إلى فتح المجال والمطالبة بالثورة السوداء العالمية، بل ويكُسب العنف الذى تستخدمه هذه الدول للحصول على هذه الحريات قدراً من الشرعية حتى يتم الحصول على حرية الإنسان الأسود، وأكد على أهمية حرية الحركات العمالية السوداء فى مختلف المجتمعات مؤكداً أن ذلك يكون فى إطار توفير مناخ من الحرية للممارسات السياسية لمختلف الجماعات والتنظيمات فى المجتمع.

واستخدم رودنى مفهوم الحرية فى بعض الكتابات مرادفاً لمفهوم التحرير Liberation للتأكيد على حصول الدول الأفريقية على الاستقلال من سيطرة القوى الاستعمارية، إلى جانب استخدامه لهذه القيمة بمعنى التحرر من السيطرة الفكرية والقيمية الغربية على عقول وقلوب الأفارقة، مؤكداً على العديد من الوسائل التى ستضمن حرية الشعوب الأفريقية المادية والفكرية والنفسية، وكيف يمكن أن تشكل التحولات الاقتصادية بداية لحصول الشعوب الأفريقية على حريتها، وأكد على أنه لن يتم الحصول على الحرية بكافة أشكالها سوى من خلال بناء عناصر إيجابية فى تاريخ الإنسانية، فالحرية عنده تعنى الخروج على الموروث الاستعمارى الاستغلالى، ومن حالة الجمود التى فرضتها علاقة الغرب بالقارة على الإنسان الأسود طيلة القرون الأربعة الممتدة من القرن الخامس عشر.

إن مفهوم الحرية فى فكر رودنى يختلف عن المعنى المقصود بها فى الثقافة الغربية

من حيث مصدر وهدف تلك القيمة، فقد جعل الثقافة الأفريقية والمنظومة القيمية التاريخية السوداء المصدر الأساسى لتلك القيمة، كما جعل إنهاء السيطرة الغربية فكرياً ومادياً على المجتمعات الأفريقية هدفاً رئيسياً لها، ولذا قام بربط قيمة الحرية بمفهوم التحرير فى العديد من الجوانب، فى حين قصر مفهوم «الانعتاق من الرق» Emancipation على سياق الحديث عن تجارة الرقيق وكيف انتهت.

لم يرفض رودنى أياً من التصورات والرؤى الفكرية التى يمكن استخدامها فى تقديم تصور بديل لشكل العلاقة بين الغرب وأفريقيا، ولكنه حاول التعديل فى هيكلها وسماتها لتتناسب مع القيم الثقافية والمعايير الحضارية الأفريقية، وحتى تصبح مناسبة لتحقيق أهداف الجماعة السوداء، ولذا رفض سيطرة قيم حضارية أو نماذج تنموية أو أساليب ونظم حكم يتم فرضها قسراً على الإنسان الأسود، فقد أراد حرية الاختيار للشعب الأسود، وأن يتم التعامل معه على قدم المساواة وبأساليب تتميز بالعدالة.

obeikan.com